الجمعة : 27/3/2009 الشيخ الطيب محمد خير الشعال

سلسلة أسرتي

14- ((يا أختي))

أخٌ يخاطب أخته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، الحمد لله ثم الحمد لله ،الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشد ه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا ، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله ، وصفيه وخليله ، خير نبي اجتباه ، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله ، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ، ولو كره المشركون ، ولو كره من كره ، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وأحثكم وإياي على طاعته.

وأذكركم بالموت فإن بضاعة الآخرة الحسنات والسيئات ونحن عما قريب ذاهبون من هذه الدار إلى دارٍ من اتقى الله هنا سعد هناك ومن عصى الله هنا حوسب هناك فقدموا لأنفسكم...

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾ الزلزلة:7-8

ثم أستفتح بالذي هو خير:

قال تعالى:

﴿....رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[الأحقاف:15]

وقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:6]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيع؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته)) [النسائي وابن حبان]

هذه هي الخطبة الرابعة عشرة من سلسلة أسرتي وقد تحدثا فيها ((لماذا هذه السلسلة)) وتحدثنا في خطبتين ((يا بني)) ، وخطبتين ((يا ابنتي))،وخطبتين ((يا أبتِ)) وخطبتين ((يا أمي)) و خطبة ((يا زوجي)) و خطبة ((يا زوجتي)) وخطبتين ((يا أخي)) وعنوان خطبة اليوم :

((يا أختي.. أخٌ يخاطب أخته))

يا أختي ، يا رمز الطهارة والنقاء ، يا من جعلتِ العفاف ثوبك والهدى دربك والتقى زادك ، والحياء شعارك .

أنتِ ، إياكِ أعني ، يا من رضيت بالله تعالى رباً وبالإسلام ديناً وبالقرآن إماماً وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً .

أختي الحبيبة :

قرأتُ في مسند الإمام احمد بن حنبل وفي معجم الطبراني وفي مستدرك الحاكم ، حديثاً يرويه سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

« **أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون** »

ويروي الحديث سيدنا أنس بن مالك يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« **خير نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون** » [أحمد ، والطبراني ، وابن عساكر]

لما قرأتُ هذا الحديث ذهبتُ إلى سير هؤلاء السيداتِ الكريمات لأبحث في سيرهن عن أعمالٍ عملوها ، وأخلاقٍ تخلَّقوها رفعتهنُ إلى رتبة أفضل نساء أهل الجنة وخير نساء العالمين ، لأنقل لك – يا أختي – هذه الأعمال والأخلاق ، عساكِ أن تعملي عملهن فتلحقي بهن في رتبهن ، فإن التشبه بالكرام فلاح .

وها أنا اليوم أحدثك عن السيدة مريم والسيدة خديجة ، لأترك الحديث عن السيدة فاطمة والسيدة آسية لتحدثك عنهما أختك في خطبة الأسبوع القادم بإذن الله تعالى .

۞ أما السيدة مريم بنتُ عمران أم سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

فهي المرأة الوحيدة في العالم التي ذُكِرَ اسمها في القرآن الكريم ، ذكرَ القرآن اسمها صراحةً في ستةٍ وعشرين موضعاً ، وهي المرأة الوحيدة في العالم التي سُمّيت سورةٌ كاملةٌ في القرآن الكريم باسمها ((سورة مريم)).

وأكثرُ ما مدح القرآن الكريم في السيدة مريم ثلاثةُ أمور هي :

عفافها وإيمانها وعبادتها ، جمعتها الآية الأخيرة من سورة التحريم عندما ضرب الله مثلاً للذين آمنوا فقال :

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ التحريم :12

بالطهر والعفاف وبالإيمان ، وبالعبادة ، ترْقَين يا أختي ، وبدونها تخسرين .

كتبت الباحثة نفيسة عبد الفتاح في جريدة الأسبوع العدد (507) تقريراً عن المقال الذي كتبه أستاذ جامعي يهودي يدعى (هنري ماكود) وهو باحثٌ متخصص في الشؤون النسوية والحركات التحررية ، حيث يقارن هذا الكاتب بين صورتين لامرأتين على حائط مكتبه : الأولى لسيدة مسلمة تلبس الحجاب الشرعي ، عباءة عريضة وخماراً يغطيان مفاتنها ، وبجانبها صورة متسابقة جمالٍ أمريكية ، أظهرت كلَّ مفاتنها وزينتها وبدت وكأنها بدون ثياب.

ويقول الكاتب :

(إن دور المرأة هو بمنزلة القلب في أية ثقافة ، وغن جزءاً من الحرب على العرب والمسلمين هو الحرب الوشيكة التي تتمثل في اقتلاعهم من ثقافتهم وديانتهم باستبدال لباس متسابقات الجمال بحجابهم الشرعي .

إذ يمثل الحجاب الشرعي تكريسَ المرأة نفسها لزوجها وأسرتها ، ويؤكد خصوصيتها وتفردها وأهميتها على الصعيد الداخلي ، فتركيز المرأة منصب على بيتها حيث يولد أطفالها ، فهي الصانع المحلي وهي الجذر الذي يبقي على الحياة لزوجها وأولادها .

أما فتيات عرض الجمال التي تمشي إحداهن شبه عارية فهي ملك للعامة ، وهي تَسُوقُ جسدها إلى المزايد الذي يدفع سعراً أعلى ...)

ويؤكد كاتب المقال أن النظام العالمي الجديد يريد المرأة منفردة معزولة جائعةً إلى الرذيلة بعيدة عن الزواج ، ويصف الكاتب اليهودي ادعاءات تحرير المرأة بالخدعة القاسية التي استطاعت إغواء الأمريكيات وخَرَّبت الحياة الغربية) [عن كتاب من همس الطور- ص144]

بالطهر والعفاف ترقين يا أختي ، وبدونهما تهبطين ، بالإيمان والعبادة ترقينَ يا أختي ، وبدونهما تخسرين .

۞ كتب الشيخ ابن الجوزي في كتابه المفيد صِفة الصفوة ، تراجم أولياء هذه الأمة ، فذكر فيمن ذكر أكثر من 200 امرأة من أولياء هذه الأمة ومن عابداتها .

وكذلك ذكر المزي في كتابه تهذيب الكمال تراجم أكثر من 250 امرأة عالمة من راويات الحديث النبوي الشريف .عالماتٌ عابداتٌ.

كتب ابن الجوزي عن **مليكة بنت المنكدر** ، قال مالك بن دينار : بينما أنا أطوف بالبيت ، إذا أنا بامرأة جهيرة الصوت في الحجر تقول : أتيتُك من شقة بعيدة مؤملةً لمعروفك ، فأنلني معروفاً من معروفك تغنني به عن مَّن سواك ، يا معروفاً بالمعروف .

وكتب عن ابنة أخيها **فاطمة بنت محمد بنت المنكدر** قال : كانت فاطمة بنت محمد بنت المنكدر تكون نهارها صائمة فإذا جنّها الليل تنادي يصوتٍ حزين :

هدأ الليل واختلط الظلام وأوى كلُّ حبيبٍ إلى حبيبه ، وخلوتي بك أيها المحبوب أن تعتقني من النار .

۞ يا أختي :

بالطهر والعفاف وبالإيمان والعبادة ترْقَيْن وبدونهما تخسرين ، وهذا غيضٌ من فيض من الحديث عن السيدة مريم العذراء .

أما السيدة الثانية التي أحدثك عنها اليوم فهي سيدتنا ((**خديجة بنت خويلد**)) زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التي قرأ النبي عليه الصلاة والسلام عليها السلام من ربها ومن جبريل وبَشَّرها ببيت في الجنة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « **أتى جبريلُ عليه السلام إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسولَ الله ، هذه خديجة قد أتت ، ومعها إناء فيه إدَام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتْكَ فَاقْرَأْ عليها السلام من ربِّها ، ومنِّي وبَشِّرها ببيت في الجنة من قَصَب ، ولا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ** » [البخاري ومسلم]

كانت السيدة خديجة تُلقبُ في الجاهلية قبل الإسلام بالطاهرة ، وهي أول زوجة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يجمع معها غيرها قط ، وهي أول من اسلم من خلق الله

بإجماع المسلمين ، وكانت ذات شرفٍ ومال ، توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين ودفنت في مكة ولها من العمر أربع وستون سنة ، وسمي العام الذي ماتت فيه عام الحزن .

قرأتُ – يا أختي – سيرة السيدة خديجة رضوان الله عليها ، أبحث فيها عن سبب رِفْعَتِها وكونِها سيدةً من سيدات نساء الجنة ، ولماذا ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليها من ربها ومن جبري وبشرها ببيتٍ في الجنة .

فوجدتُ – والله اعلم – أنها تحلّت بأربع صفات ، إن تخلقتِ بهن لحقت بها :

كانت السيدة خديجة : مؤمنة ، طاهرة عفيفة ، عاقلة ، مواسية لزوجها .

تقرأين عقلها في اختيارها رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجاً لها وفي أول حادثةٍ للوحي .

روت كتب الصحاح والسير أنه لما نزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء باقرأ باسم ربك الذي خلق ، رجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة – واخبرها الخبر – لقد خشيتُ على نفسي ، فقالت خديجة : كلا والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم وتقري الضيف وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق [سيرة ابن كثير] .

ثم انطلقت به خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان امرءاً تنصر في الجاهلية فطمأنه وبشّره.

وتقرأين مواساتَها لزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث عائشة الذي يرويه الإمام أحمد :

«ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة فتناولتها فقلت : عجوز قد أبدلك الله خيراً منها فقال صلى الله عليه وسلم : ((**ما أبدلني الله خيراً منها ، لقد آمنت بي حين كفر الناس ، وأشركتني في مالها حين حرمني الناس ، ورزقني الله ولدها وحرمني ولد غيرها**)) فقلت : والله لا أعاتبك فيها بعد اليوم »

وهذا مثلُ المرأة الصالحة تواسي زوجها بالخير وتشركه بالبر .

بالطهر والعفـاف ، وبالإيمان وبالوعي والعقـل ، وبمواسـاتك لزوجـك ترْقَين يا أخـتي وبـدونها تخسرين .

۞ يا أختي :

يا ابنـة أمي وأبي ، يا أخـتي الحبيبـة ، هـذا شـيءٌ من سـيرة سـيدتين من سـيدات نسـاء الجنـة ، أحببت لك أن تجتمعي معهن في الآخرة وتلحقي بهن بمنزلتهن في الجنة .

۞ السيدة مريم وُصِفت بـ 1- الطهر والعفاف

2- الإيمان

3- العبادة

۞ والسيدة خديجة وُصِفت بـ 1- الطهر والعفاف

2- الإيمان

3- العقل

4- مواساة الزوج

۞ فتمسكي يا أختي بهذه الخمسة :

1- الإيمان

2- العبادة

3- الطهر والعفاف

4- العقل

5- مواساة الزوج

والحمد لله رب العالمين